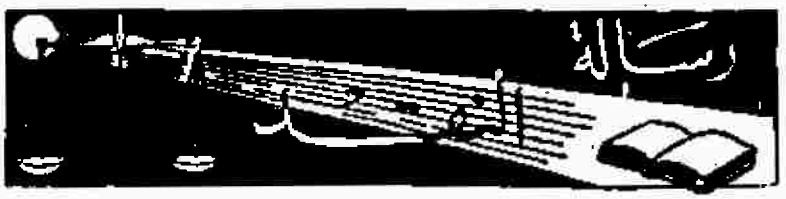

نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٢ —

ثم يقول الأستاذ محمد كرد على : « ولما عزمت هذه الأيام على طبعه تفضل صديق الأستاذ عباس العزاوى وأرسل لى نسخة من مخطوطة حزانته من هذا الكتاب معارضة على نسخة أخرى ، وبوجود ثلاث نسخ منه سهل الاهتداء إلى أصح روايات المؤلف ، فجاءت هذه الطبعة صحيحة على ما يحب المؤتمنون على نصوص القدماء » .

حسب الأستاذ أن ظفره بهذه النسخ قد هداه إلى أصح روايات الكتاب ، ومكنه من نشره نشراً علمياً صحيحاً يرضى النقاد الأمناء على تراث العرب ، وليس ذلك من الحق فى شئ ، فإنه لم يفطن إلى أصح الروايات إلا قليلاً ، وخرج الكتاب من بين يديه مفعماً بالتحريف ، مترعاً بالتصحيف ، ووقعت فى حواشى الكتاب التى صنعها أوهام لغوية غريبة عجيبة ما كنت لأعنى بتبيانها لولا أن الأستاذ رئيس للمجمع العلمى العربى بدمشق وعضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة .

١ — جاء فى ص ٧٤ « وماذا يقولون فى رجل زنى وهو لا يعلم أن الله حرّم الزنا ؟ وآخر زنى وهو يعلم أن الزنا من الكبائر التى تسخط الرب وتوجب النار ؟ أيهم أقرب إلى السلامة وأولى من الله بالعفو ؟ أو ليس أهل العلم على أن الذى لا يعلم لا حدّ عليه من جَلْد وتعزير ولا رجم ؟ وأن على الآخر حد البكر إن كان بِكراً ، وحدّ المحصن إن كان محصناً ؟ فهذه أحكام الدنيا ، وأما أحكام الآخرة فلولا كراهة التّأَلى على الله لقلنا فى الذى ركب الفاحشة وهو لا يعلم أن الله حرمها ، معفو عنه »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « التألى : التكبر » !!!

وهذا شرح ينبو عنه الذوق ، ولا يسوغ فى شرعة العقل والدين . ولا يتصور أن يكون التكبر على الله قد دار بخلد ابن قتيبة أو طاف بفكره عندما كتب هذا الكلام

إن ابن قتيبة لم يقصد بكلمة : « التألى » إلا معناها المشهور ، وهو القسم والحكم على الله . جاء فى لسان العرب : « وقد تألّيتُ ، وائتليت : أقسمت ، وفى الحديث : من يتأل على الله يُكْذِبْهُ ، أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلنّ اللهُ فلاناً النار ويُنجحنّ اللهُ سعي فلان . وفى الحديث : ويل للمتألين من أمتى ، يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون : فلان فى الجنة وفلان فى النار » .

وسيرى القارئ بإذن الله من أمثلة هذا الشرح العجيب ما يستنفد عجبه ، ويستفرغ دهشته .

٢ — ص ١٥ يقول ابن قتيبة فى معرض حديثه عن الله وإكرامه لأمة محمد عليه السلام « وأوسع لنا من طيب الرزق ، وحرم علينا الخبائث ، ولم يجعل فى الدين من حرج ، ولا خطر بالاستعباد إلا ما جعل منه الخلف الأطيب والبدّل الأوفر رحمة منه وبراً ولطفاً وعطفاً » .

وليس للبدل هنا أى معنى ، والصواب : « والبدّل الأوفر »

٣ — ص ١٦ تحدث ابن قتيبة عن اختلاف الناس فى الأشربة « ... حتى يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه ، وبارع فهمه إلى أن يسأل عبيدة السلمانى عن النبيذ ، وحتى يقول له عبيدة ، وقد لحق خيار الصحابة وعلماؤهم منهم على وابن مسعود ، اختلف علىّ فى النبيذ . وفى رواية أخرى أخذت الناس أشربة كثيرة فما ترى شراب منذ عشرين سنة إلا من لبن أوماء أوعسل »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى ع : علينا والغالب أنها علنا »

وقد أخطأ فى تصويبه ، ولم يدرك أن « اختلف » مبنى للمجهول . والصواب : « اخُتُلِفَ علينا فى النبيذ . وفى رواية أخرى : أخذت الناس أشربة كثيرة ... »

وابن سيرين هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى روى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبى هريرة وعائشة وطائفة من كبار التابعين . قال ابن سعد ، وكان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً

فقيهاً إماماً كثير العلم . مات سنة عشر ومائة .

وقد ترجم ابن قتيبة لعبيدة السلماني في كتاب المعارف ص ١٨٨ فقال : « هو عبيدة بن قيس السلماني من مراد . قال ابن سيرين . قال عبيدة : أسلمت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فصليت ولم ألق رسول الله . ومات سنة اثنتين وسبعين »

٤ — ص ١٧ ذكر ابن قتيبة أنه بين مذاهب الناس في الشراب وحجة كل فريق « لعل الله يهدي به مسترشداً ، ويكشف من غمّة ، وينقذ من حيرة ، ويعصم شارباً ما دخل على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة ... » .

والصواب « ويعصم شارباً مما أحلّ على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة » قال ابن قتيبة في ص ٣٦ « ... وتتابع الناس في الأشربة المسكرة على التأويل ... »

٥ — ص ١٧ يقول ابن قتيبة « قد أجمع الناس على تحريم الخمر بكتاب الله إلا قوماً من جُهّال أصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ الله بهم ... »

هكذا ضبط الأستاذ كلمة « جهال » بفتح الجيم ، والصواب ضمها .

٦ — ص ١٨ ذكر ابن قتيبة بعض أقوال هؤلاء الجُهّال ثم عقب عليه بقوله « وليس للشغل بهؤلاء وجه ، ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى ؛ إذ كانوا ممن لا يجعل حجة على إجماع ، وإذ كان ما ذهبوا إليه لا يختلج على عاقل ولا جاهل »

والصواب « لا يُخيِّلُ » أي لا يشكل من قولهم : هذا شيء لا يخيل على أحد أي لا يلتبس أو يجوز عليه .

٧ — ص ٢١ قال الشاعر :

نبيذ إذا صرَّ الذباب بدَنّه تقطّر أو خرّ الذباب وقيذا

والصواب « تقطر » بالقاف لا بالقاء ، جاء في لسان العرب « طعنه تقطره ، أي ألقاه على قطره أي جانبه ، فتقطر ، أي سقط وقال الليث إذا صرعت الرجل صرعة شديدة قلت : قطرته ، وأنشد :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

٨ — ص ٢١ « وقال آخر :

تركت النبيذ وشربه وصرت حديثاً لمن عابه
شراباً يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر أبوابه

والصواب كما في العقد الفريد ٣١٩/٤ « وصرت حديثاً لمن عابه . شراب يضل ... »

٩ — ص ٢١ « عن عمر بن شيبة بن أبي كبير الأشجعي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير الوجه من النبيذ تتناثر منه الحسنات » .

والصواب « عن عمر بن شيبة بن أبي كثير الأشجعي » كما في الإصابة ٢١٨/٣ — ٢١٩ ولسان الميزان ٣١٢/٤ مجمع الزوائد ٢٣٠/٤ والجرح والتعديل ١١٥/٣ من القسم الأول .

والحديث مذكور في الإصابة ٢١٩/٣ وفي لسان الميزان ٤٨٢/٤/٤٨٣ وهو حديث منكر .

وشيبة بن أبي كثير هذا هو الذي داعب امرأته فانتثر من وقع يده عليها في غزوة تبوك . وقد سأل النبي عليه السلام عن ذلك فقال : لا ترَبْها ، كما في الإصابة ومجمع الزوائد من رواية ابنه عمر عنه .

١٠ — ص ٢٢ « وحدثني سباية ، عن عمرو بن حميد ، عن كبير بن سُليم قال : حدثني أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي » والصواب « وحدثت سباية ... عن كثير بن سليم » .

وهو سباية بن سوار المتوفى سنة ست ومائتين كما في تهذيب التهذيب ٣٠٠/٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢٩ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٢ وطبقات ابن سعد ٦٦/٧

وأما كثير فهو كما جاء في خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٢ « كثير بن سليم الضبي ، أبو سلمة المدائني ، روى عن أنس . قال أبو حاتم وهو منكر الحديث .

١١ — ص ٢٢ ، ٢٣ قال ابن قتيبة : وأما المسكر فإن فريقاً يذهبون إلى أن كل شيء أسكر كثيره قليلاً ما كان ولو بلغ فرقاً فقليله كثيراً ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام ... عن عائشة رحمة الله عليها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر حرام . وما أسكر الفرق فالحسوة منه حرام » .

شرح الأستاذ كلمة الفرق بقوله « الفرق بكسر الفاء القسم من كل شيء » .

والصواب « الفرق بفتح الفاء والراء » قال ابن قتيبة في ص ١٠٩ من هذا الكتاب « والعوام يقولون الفرق بسكون الراء ؛ ويذهبون إلى أنه مائة وعشرون رطلا على ما اصطلحوا عليه في فرق الدوشاب . ومن في وسعه أن يشرب مائة وعشرين رطلا حتى يعلم ما يسكر منه هذا المقدار من الشراب ؟ وإنما هو الفرق بنصب الراء ، وهو ستة عشر رطلا ، قال خداش بن زهير .

يأخذون الأرش من إخوانهم فرق السمن وشاة في الغنم

وللعرب أربعة مكاييل مشهورة . المدّ . والصاع . والقسط ، والفرق ، وهو ستة عشر رطلا ، ستة أقساط في قول الناس جميعاً

١٢ — ص ٢٥ قيل للعباس بن مرداس « بعد ما آمن وأسلم : قد كبرت سنك ، ودق عظمك ، فلو أخذت من هذا النبيذ شيئاً يقويك ! فقال : أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم ! وآليت ألا يدخل رأسي ما يحول بيني وبين عقلي » والصواب : « ورق عظمك ... سفيههم آليت ... »

١٣ — ص ٢٧ « ودخل أمية بن خالد بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه آثار فقال : ما هذا ؟ فقال : قمت الليل فأصاب الباب وجهي . فقال عبد الملك :

رأتني صريع الخمر يوماً فسؤتها ولشاربها المدمنها مصارع

فقال أمية : لا آخذني الله بسوء ظنك يا أمير المؤمنين . فقال بل لا آخذني الله بسوء مصرعك » .

والصواب : « ودخل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد » . والقصة موجودة في العقد ٤ / ٣٢١ ومحاضرات الأدباء ١ / ٣٢٦ وقد ذكر ابن قتيبة أمية بن عبد الله في عدة مواضع من كتاب « عيون الأخبار » وقد ورد في الجزء الأول منه ص ١٦٦ هذا النص : وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد :

إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

وهو خطأ لأن عبد الملك لم يقل هذا البيت وإنما قاله عمرو ابن حرثان . روى العتبي أن عبد الملك بن مروان قال لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : ما لك بعمرو بن حرثان حيث يقول فيك:

إذا عطف العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

فقال يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقمته ، فقال : هلا درأت عنه بالشبهات ؟ فقال : الحد أبين ، وكان رغمه على أهون . فقال عبد الملك : يا بني أمية أحسابكم أنسابكم لا تعرّضوها للعجاء . وإياكم وما سار به الشعر ، فإنه باق ما بقي الدهر . والله ما يسرني أني عجيت بهذا البيت وأن لي ما طلعت عليه الشمس :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم قرثى يبتن خمائصا

وما يبال من مُدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما :

هنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا

وإن يسألوا يُعطوا وإن ييسروا يُغلوا

على مكثريهم رزق من يعتريهمُ وعند المقلين السماحة والبذل

راجع أخبار أمية بن عبد الله مع أبي نديك الخارجي في الطبري ٧ / ١٩٣ ، ١٩٥

١٤ — ص ٢٨ « وكان ابن هرمة الشاعر في شرفه ونسبه وجوده يشرب الخمر بالمدينة ويسكر فلا يزال الشرط وقد أخذوه ورفعوه إلى الوالي في المدينة فحده ... » .

والصواب « فلا يزال الشرط قد أخذوه ... في المدينة بحده »

١٥ — ص ٣٠ « وحدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : كان عقيل بن علقمة المري فيوراً ... »

والصواب « عقيل بن عُلّفة » . قال البغدادي في خزانة الأدب ٢/٢٧٨ « وعقيل بفتح العين ، وكسر القاف ، وعلفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلف وهو ثمر الطلح . ونقل الشريف المرتضى في أماليه ٢/٤٠ معنى العلفة عن ابن الأعرابي وأبي سعيد السكري وكرر ابن قتيبة ذكر عقيل ابن علفة في عيون الأخبار ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ترجمة طويلة ١١/٨٥ — ٩٣ قال فيها « وعقيل شاعر مجيد مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة ، لا يرى أن له كفؤاً ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، تزوج إليه حلفاؤها وأشرافها » .

(يتبع)

السيد أحمد صقر

المدرس بالمدرسة الفرنسية بمصر الجديدة